مجلة هيرودوت للعلوم الإنسانية والاجتماعية | المجلد 06/ العـــدد02 (2022)، ص ص 703-713

# الحركة العلميّة والفكرية باقليم قورارة – تيميمون –

# *The scientific and intellectual movement in the province of Gourara - Timimoun*


| بيدة عبدالرزاق * | أ د. سعيدي محمد |
|---|---|
| 1 جامعة وهران (الجزائر) | جامعة تلمسان (الجزائر) |
| badaabderrazak1@gmail.com | msaidi45@yahoo.fr |


**تاريخ الاستلام: 06/../03../2022.** **تاريخ القبول: 26/../05../2022.**


**الملخص:**

يهدف هذا البحث إلى التعرف على اقليم قورارة جغرافيا وتريخيا وعن الحركة العلمية والثقافية التي شـهدها الاقليم والتي تتجلى من خللا الموروث الثقافي المادي واللامادي و خزائن المخطوطات العلمية النفيسة والمكتبات العامرة بالكتب في شتى العلوم،وأيضا الانتشار الواسع للطرق الصوفية و الزوايا والمدارس القرانية في كل القصور والاحياء السكنية ودورها في نشر الدين الاسلامي والتعايش السلمي بين افراد المجتمع .وهذا كله قد ساهم في ظهور طفرة علمية وفكرية شاهدها الاقليم خلال القرون الماضية . والفضل فيه يرجع إلى العلماء وشيوخ الزوايا وكان لكل عالم منهم تفوق في مجاله . أما المنهج الذي اتبعته في هذه الدراسة فكان المنهج التاريخي حاولت التكيف بواسطته بما وقع بين يدي من مادة علمية مستعينا قدر الإمكان بالمنهج الوصفي متى وجدت الأمر يستحق ذلك معتمداً على دراسات من سبقوني في مجال البحث في تاريخ الاقليم .


**كلمات مفتاحية:** الحركة العلمية، إقليم قورارة ، الزوايا، الطرق الصوفية.


## Abstract:

This research aims to identify the province of Guara, geographically and historically, and about the scientific and cultural movement witnessed by the region, which is manifested through the material and immaterial cultural heritage, the treasures of scientific manuscripts and libraries full of books in various sciences, as well as the wide spread of Sufi orders, angles and Quranic schools in all palaces and neighborhoods Housing and its role in spreading the Islamic religion and peaceful coexistence among members of society. All this has contributed to the emergence of a scientific and intellectual boom witnessed by the region during the past centuries. The credit for it is due to the scholars and the sheikhs of the angles, and each scholar among them excelled in his field. As for the method that I followed in this study, it was the historical method, by which I tried to adapt to the scientific material that happened to me, using as much as possible the descriptive method whenever I found it worth it, relying on the studies of my predecessors in the field of research in the history of the region.



## Keywords:

Scientific movement, Qorara province, angles, roads.


## 1. مقدمة

* بيدة عبدالرزاق

بفضل المسالك العابرة للصحراء استقرت أقدم التجمعات من بربر وعرب وزنوج في إقليم قورارة. بحيث نقلو معهم علومهم وثقافتهم وعادتهم وكانت هذه الجماعات نشطة جدا فقد أوصلوا أسواق الجنوب بالشمال عن طريق القوافل التجارية المتوجهة في الاتجاهات المختلفة و بذلك ساهمت في نقل الإسلام و المعارف و العلوم المختلفة. وبهذا شكلت نقطة تواصل وعطاء بين مختلف الشعوب القاطنة في الشمال والأخرى في الجنوب وفي هذه المرحلة شهدت قورارة طيلة قرون من الزمن طفرة فكرية و علمية بحيث إزدهرت لديهم العلوم و الفنون، فاختصوا في العلوم الشرعية واللغوية وكان إنتاج علمائها غزيرا ووفيرا في هذا المجال وكثرت التآليف، وتكونت مكتبات عامرة تضم عددا كبيرا من المخطوطات تشمل مختلف فنون العلم و المعرفة.

ومع دخول الإسلام الى قورارة حتى أصبحت تتميز بحركة علمية و ثقافية كبيرة، فقد وفد إليها العلماء والمشايخ من جميع الجهات ،فأنشأوا بها المدارس والزوايا، واشتغلو فيها بالتعليم، فنشطت من حينها بقورارة حركة العلم والعلوم سواء منها ما تعلق بالعلوم الشرعية، أو ما تعلق بالعلوم الاخرى، حيث عرفت الحركة العلمية إبتداء من النصف الثاني من القرن التاسع الهجري إزدهارا في مختلف العلوم الأدبية واللغوية والعلوم المختلفة الأخرى. وتواصلت هذه الطفرة العلمية إلى غاية القرن الثالث عشر هجري 13 هـ، ومن أكثر الدلالات على ذلك هو العدد الكبير من العلماء الذين إشتهروا في هذه الفترة، فمنهم من اجتازت شهرته هذه المنطقة التي عاش فيها. ولقد كان نصيب مدينة تيميمون كبيرا بحيث حل بها ألمع الأسماء من مناطق متعددة وخاصة من تلمسان وغيرها، ونذكر على سبيل المثال محمد بن عبد الكريم المغيلي، و مما يدل على ذلك أن منطقة قورارة، تضم عددا كبيرا من خزائن المخطوطات التي مازال عدد كبير منها غير مجرود، مما جعل الباحثين و مؤسسات البحث يتهافتون على المنطقة لمعرفة هذه الكنوز العلمية و جردها أو البحث في مضامينها و تحقيق الأهم منها.

ومما زاد في وتيرة الحركة العلمية هو توافد العلماء والصالحين على المنطقة الأمر الذي جعلهم يساهمون كثيرا في النهضة العلمية، فعملوا على نشر الإسلام بطريقة سلمية، فدرسوا العلوم والمعارف، فكان من بينهم وأجلهم الشيخ سيدي أبو يحي بن محمد المنياري، والشيخ سيد ي محمد بن عبد الكريم المغيلي، وغيرهم من العلماء والفقهاء، نزلوا بالمدن الكبيرة، فدرسوا فيها المنظومات الفقهية والنحوية ’وفسروا القران الكريم، وأسسوا الزوايا والمدارس القرائنية. ومن خلال هذه المقال سوف نتحدث عن العلم والتعليم باقليم قورارة، والخزائن و المكتبات، أهم المؤلفات بلمنطقة، والزوايا ودورها بقورارة ،والعلاقات الثقافية بين قورارة وبعض الأقاليم المجاورة لها، والتعرف عن قرب على الحياة والثقافية والحركة العلمية بيها وذالك من خلال الاجابة عن التسائل :ماهي الظروف التي ساعدت على انتشار الحركة العلمية باقليم قورارة ؟ وما هي الاليات التي تم على أسلسها تموقع الطرق الصوفية والزوايا في الاقليم القوراري؟.

## 2. موقع إقليم قورارة ولاية تيميمون:

يتضح من خلال المصادر والمخطوطات أن منطقة قورارة كانت ملتقى تجمع و استقرار بشري منذ فترة قديمة. وقد شكلت بحكم موقعها الجغرافي الإستراتيجي بين الواحات الجنوبية الصحراوية نقطة مركزية هامة تصل بين حواضر ومدن المغرب الإسلامي في الشمال والمراكز الحضارية الواقعة جنوب الصحراء المسماة بلاد السودان الغربي .

ويحدد الامتداد الجغرافي لمنطقة توات الكبرى باقاليمها الثلاث من الشرق هضبة تادمايت ومن الشمال العرق الغربي الكبير ومن الغرب عرق شاش ومن الجنوب صحراء تنزروفت. وتتكون المنطقة تاريخيا من ثلاثة نواحي شاسعة جغرافيا، قورارة في الشمال، و تيدكلت إلى الجنوب، أما في الوسط فتقع توات الوسطى أو تسوات، ولقد عمم الجغرافيون و الباحثون اسم توات على المناطق الثلاث ). (حوتية، 2004، صفحة 06)

منطقة قورارة سميت قديما بتينجورارين من طرف قبائل البربر، ومعناها بالبربرية المعسكرات (الوزان، 1983، صفحة 133). وتقع شمال منطقة توات، يحيط بها العرق الغربي الكبير من جهة الشمال والشمال الشرقي، ومن الجنوب سفح هضبة تادمايت الشمالي، أما من الغرب وادي الساورة وواد مسعود، مركزها مدينة تيميمون، و معظم قصورها تقع بين دائرة قطرها حوالي 80 كلم أبعدها هي قصور تابلكوزة في الشمال، وينتهي بهذه المنطقة وادي مقيدن مكونا سبخة كبيرة تعرف بسبخة قورارة (Gourara, 1957, p. 07).

## 3. اقليم قورارة في كتابات المؤرخين:

قورارة أو تيكورارين وردت عند ابن خلدون، فهي بربرية مفردها تاقورارت، وتعني المجتمعات أو التجمعات السكنية أو المعسكرات. ومهما يكن الأمر فإن المنطقة عرفت بهذا الإسم عند جل المؤرّخين، فلا يعقل أن تكون الأجزاء بربرية والكل عربي، كما أنه ليس من المنطقي أن تبقى هاته المناطق إلى أن يحلّ بها العرب لتأخذ إسما لها، علما أن الوجود العربي في المنطقة يعود إلى الفتوحات الإسلامية (نهاية القرن الأول الهجري وما تبعها من هجرات هلالية. (محمد، 2001، الصفحات 76-77 )

منطقة قورارة وهي منطقة تيميمون حاليا، وقد عرفت عند العديد من المؤرخين باسم تيكورارين أو تينجورارين، والتي تعني التجمعات السكنية أو المعسكرات باللهجة المحلية البربرية كما أسلفنا سابقا، وقد عرّبت فصارت تيقورارين، وشيئا فشيئا صارت تعرف باسم القورارة، (حيدة، 1977، صفحة 240)حيث تقع منطقة القورارة حوالي 200كلم شمال مدينة أدرار، وقد جاءت على محور طريق تجارة الصحراء التي اشتهرت في العصر الوسيط بين بلدان شمال إفريقيا وبلدان السودان الغربي.

ومما يميز القورارة عن غيرها من مناطق الإقليم أنها أرض ذات سباخ، كما تكثر بها المرتفعات والتلال الصخرية، أما عن التركيبة السكانية فهي مكونة من الزناتة والعرب، وهجين من الأفارقـة (Pietro-Laureaux, septembre1987, p. 02.).

كما يرى أحد الدارسين أن العنصر الزنجي جاء إثر عملية جلب الأفارقة من مواطنهم الأصلية وبيعهم كعبيد، وقد استمرت هذه العملية حتى القرن العشرون أما العنصر البربري فقدم من الشمال إلاّ أنه يصعب من الناحية اللغوية التفريق بين العنصر الزنجي والبربري، ذلك لأن كلاهما يتحدّث اللهجة الزناتية لكن العرب يمكن تمييزهم من خلال اللغة (M-mameri, 1956, p. 242).

### 1.3– بوادر الحركة العلمية والثقافية في اقليم قورارة:

قبل الحديث عن الحركة العلمية والثقافية في اقليم قورارة يجدر بينا أن نسلط الضوء على جذور هذه الحركة، لأن الحاصل لم يكن ليخرج من عدم، بل هو تراكم لأعمال كثيرة وعوامل عديدة، ساهمت في تشكيل بناءٍ تبلور كحركة علمية ونشاط فكري ميز اقليم قورارة.

إن موقع الإقليم القوراري، من حيث هو معبر حتمي للقوافل التجارية بين المدن الشمالية وجنوب الصحراء أضفى على المنطقة حركية إقتصادية نشطة ساهمت إلى حد كبير في اجتذاب العديد من الجماعات البشرية التي آثرت الإستقرار في الإقليم لما يوفره من أمن ورغد عيش (حيدة، 1977، صفحة 11) وقد أشار إلى ذلك ابن خلدون الذي وصف اقاليم توات الكبرى أنها بلد مستبحر في العمران وأنها الممر الحتمي الذي تسلكه القوافل إلى بلاد السودان "مالي" (الرحمن، 2001، الصفحات 76 -77 ).

وتشرف قورارة أيضا، على طريق آخر لا يقل أهمية عن الطريق الأول، وهو طريق يسلكه الحجاج القادمين من سجلماسة وشنقيط والمتوجهين نحو الحجاز عبر صحراء ليبيا ومصر، والذي مر به العياشي، صاحب ماء الموائد (سالم، الصفحات 20-21.)، ولاشك أن لركاب الحاج أهمية بالغة في تنشيط الحركة العلمية في المحطات والمراكز التي تتوقف عندها، إذ عادة ما يحمل الركب علماء أجِلاء يديرون . خلال فترات الراحة . بعض الدروس يتهافت طلبة العلم في قورارة إلى حضورها للاستزادة من علومهم وطلب الإجازة منهم.

ولعل أقدم مركز الاستقرار في اقليم قوراة هو تيمون، التي تقع في نقطة تقاطع الطريقين السابقين، حيث عرفت خلال الفترة إنتعاشاً اقتصادياً* وعلميًا كبيراً تحدث عنه الكثير من المؤرخيين والرحالة امثال ابن خلدون وابوسالم العياشي.

ولقد انفرد "العلماء " بغزارة التأليف حيث ألف العديد من المصنفات، من أهمها على ما ذكر صاحب جوهر المعاني: "غاية الأمل في إعراب الجمل على لامية ابن المجراد"، "حاشية على مختصر اللقاني على ابن الحاجب" اختصره بأمر شيخه سعيد قدورة الجزائري، "تحفة المجتاز إلى معالم أرض الحجاز" * في أدب السفر إلى بيت الله الحرام وما يجب على المعتمر والحاج من المناسك، وما يصادفه من مزارات. "شقائق النعمان في من جاوز المائة بزمان" وذكر فيه المعمرين،"سفينة النجاة بأهل المناجاة" وهي قصيدة في التوسل بأولياء الله الصالحين، "الرحلة في طلب العلم"* وهي رحلة فهرسية ذكر فيها شيوخه الذين أخذ عنهم. وله العديد من المنظومات والقصائد الشعرية.

### 2.3 .النهضة العلميّة والثقافيّة:

عرفت قورارة خلال القرن العاشر الهجري ( 16 م ) نهضة علمية كانت إمتداداً لنهضة علمية واسعة عرفتها الحواضر العلمية المنتشرة في أرجاء شمال أفريقيا، كالقاهرة وفاس ومكناس مراكش وغيرها والتي أنجبت علماء كانوا رواد إصلاح وناشري علم ومعرفة، وقد كان لهذه

* - تحدث عنه ابن خلدون، حيث وصف أسواقها في سياق حديثه عن حركة القوافل في الصحراء حيث أورد أن قبائل من تلمسان يسمون ذوي عبيد يمرون على اقليم قورارة ومنطقة تمنطيط في طريقهم إلى بلاد السودان ينظر: (ابن خلدون، العبر، الجزء6/80. ).

* - توجد نسخة من المخطوط في خزانة أحمد ديدي، تمنطيط .

* - توجد نسخة من المخطوط في خزانة أحمد ديدي، تمنطيط .

الحواضر الوقع المؤثر على قورارة بحكم الجغرافيا والتاريخ بدأت بوادره في الظهور منذ القرن (08،09، هـ) وتوجه تأسيس مراكز علمية كان لها أثر كبير في بعث الحركة الثقافية والعلمية في عموم اقليم قورارة .

### 1.2.3 . الحركة العلمية و الثقافية بقورارة خلال القرن الـ10هـ :

مع بداية القرن العاشر الهجري، بدأت ثمار جهود العلماء الوافدين إلى قورارة تظهر بجلاء حيث ظهرت عدة مراكز علمية ساهمت في تنشيط الحركة العلمية في الاقليم، ومن أهم المراكز العلمية التي برز دورها جليًا في القرن العاشر الهجري، زاوية سيدي الحاج بلقاسم، التي لعبت دوراً هاماً في الحركة العلمية والثقافية في قورارة، فاقت به مركز تمنطيط العتيق، الذي بدأ صيته يخفت لصالح مراكز علمية ناشئة كمركز حاضرة اولاد السعيد أو الزاوية الدباغ زاوية سيدي عومر اوقروت وغيرها من زوايا التعليم التي لعبت دورًا هامًا في المشهد العلمي والثقافي القوراري خلال القرن العاشر وما بعده.

لما انتشر الإسلام بين أفراد المجتمع أصبح للشيوخ والعلماء مكانة كبيرة. ولقد ساهم في ذلك وفود الفقهاء بانتقال التيارات الثقافية من المشرق إلى المغرب و بفضل ذلك لم تنقطع هجرة أقطاب المذاهب و الأفكار، فتعلم السكان مبادئ الدين و اللغة العربية وكذلك بنوا المساجد التي لعبت في هذه الفترة دورا هاما كمراكز علمية و منتديات اجتماعية. (لقبال، 1984، صفحة 129)

لقد ساعد الموقع الممتاز للمنطقة بالانتشار التدريجي لزوايا كثيرة، كانت عبر فترة من الزمن مراكز إشعاع ديني و ثقافي، وتجمع من خلال ذلك الكثير من الأتباع. ويرجع الفضل الكبير في نشر الإسلام في مناطق السودان إلى مساهمة الطرق الصوفية* والزوايا التي كانت تتبعها، ولعل أهم هذه الطرق بالمنطقة الطريقة.

### 2.2.3. الطريقة الطيبية

هي الطريقة الوازنية وشيخها "مولاي الطيب" حيث تحظى هذه الطريقة بنوع من الاحترام والتقدير وسط الناس. يظهر هذا من خلال "مقدميها" الموجودون بأغلب القصور وإقبال الناس على هؤلاء "المقدمين" ونشاطاتهم. إن "الجماعة الطيبية" تتحرك أكثر من غيرها فنجدها حاضرة في كل المناسبات الدينية. بل هي التي تشرف وتتبنى كل الطقوس من أوله إلى آخره. فالذين يحضرون "الجير" ويصعدون على قبة أو مقام الولي للغرض نفسه هم إما أقارب لمقدم الطريقة أو متعاطفين معه. أما افتتاح الطقس يكون من خلال الفقرة التي يتلو

* – مصطلح تصوف لغة مصدر مشتقة من فعل " تصوف" أي لبس الصوف. و التصوف هو مرآة الحياة الروحية الإسلامية التي يخضع فيها الإنسان نفسه لألوان من الرياضة و المجاهدة ويعد فيها قلبه لمعرفة الحقائق عن طريق الكشف و المشاهدة، والتي تقوم أولا على ما اقتدى فيه المسلمون الأولون بالنبي.

مقدمها كلمات مدح وثناء وترحم تخص "شيخ الطريقة وأشراف وشريفات وزان" وكذلك الاختتام يكون من طرفها ويتمثل في الفاتحة التي تكون على الطريقة الطيبية وليس بأي شكل آخر. كذلك نجد هذه الطريقة من خلال أشكال أخرى؛ الورد الذي يسمى "الحضرة" ويقرأ في المساجد وهو في الحقيقة ورد شيخ الطريقة نفسها، أو "الحضرة" التي تقام خلال إقامة زيارة ولي معين، أو "الفاتحة" التي تقام في بعض الزيارات والتي هي عبارة عن ملتقى لمريدي .

### 3.2.3. الطريقة القادرية:

مؤسّسها سيدي عبد القادر الجيلالي دفين مدينة بغداد ( 561 هـ/1167م). و كانت من أوسع الطرق انتشارا في المشرق والمغرب الإسلامي ولها العديد من الأتباع وتفرعت منها طرق كثيرة أخرى. ثم انتقلت بعد ذلك إلى المغرب على يد أبي مدين شعيب الأنصاري الأندلسي فقام بنشرها هناك وزادت انتشارا مع عبد السلام بن مشيش. غير أن هذه الطريقة عرفت انتشارا واسعا في ربوع أفريقيا بفضل الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني وعنه أخذ الطريقة الشيخ سيدي أعمر بن الشيخ سيدي أحمد البكاي بن سيدي محمد الكنتي الشنقيطي، بالنسبة لهذه الطريقة، فإنه رغم شهرة شيخها واعتراف الجميع بفضله وقدره إلا أنحضورها في الحياة اليومية للناس وفي مختلف المناسبات لا يكاد يقارن بمدى حضور الطريقة الطيبية بل يبدو معدوماً تماماً. باستثناء إذا كان مريديها هم من الخاصة( مشايخ الزاوية ومن الفقهاء والحفاظ والأئمة والمدرسين...) ويلتقون في جلسات خاصة بهم ولا يريدون الاحتكاك مع العامة. لكن لاشك أن مثل هذه السلوكات تتناقض مع أهداف الطريقة التي تنشد الانتشار من خلال زيادة الأتباع والمريدين. ولا يكون هذا إلا بالإظهار العلني للطريقة مثلما هو حال الطيبية.

### 4.2.3. الطريقة التيجانية:

تأسّست الطريقة الصوفية التجانية على يد أحمد بن محمد ابن مختار بن سالم التجاني الذي ولد في سنة 1150 هـ (1737-1738م) بعين ماضي وقد أبدى التجاني منذ طفولته ذكاء فائقا وتربى تربية بين عائلة محافظة جد متمسكة بعقيدتها الإسلامية وكان أبوه عالما فقيها في الدين. وتعتبر من الطرق الأوسع انتشارا في غرب إفريقيا الغربية. وتقوم هذه الطريقة على أوراد محددة تشمل الوظيفة والورد المعلوم.

يتجلى حضور هذه الطريقة بالمنطقة من خلال وجود زاويتين تحملان وصف التيجانية وهما "زاوية أوقروت" و"زاوية تسابيت". حيث من خلال وظيفتهما الاجتماعية المتمثلة في تعليم القرآن وعلوم الشرع بالدرجة الأولى يتضح أن أتباع التيجانية بالمنطقة على عكس الطيبية يكونون في غالبيتهم من المتعلمين والمتدينين وليس من عوام الناس.

### 5.2.3. الطريقة الموساوية

يرجع تأسيس هذه الطريقة إلى الشيخ أحمد بن موسى بن خليفة، وكان مولده سنة 895 هـ / 1475 م بقرية سيدي موسى بمدينة فاس وكانت وفاته في سنة 1013 هـ / 1604 م. وتواجدت هذه الطريقة في زاوية كرزاز بمنطقة الساورة وكانت لها أملاك من النخيل في توات و الساورة. و أما ورد الشيخ أحمد بن موسى كان يرتكز على التسبيح بأكبر قدر ممكن على النبي صلى الله عليه وسلم.

يوجد لها أتباع بكل من بودة ومدينة أدرار وبعض القصور القريبة منها. وتبدو هذه الطريقة أكثر تنظيماً من الطرق الأخرى لأن أتباعها لايزالون يحافظون على علاقتهم بالزاوية الأم بكرزاز. حيث يتنقلون سنوياً إليها بمناسبة "الزيارة" التي تقيمها الزاوية. بل أكثر من هذا فإن شيخ الزاوية نفسه يأتي سنوياً إلى أدرار ليلتقي باتباعه حيث يحفونه باستقبال وإقامة خاصة. فمثلاً يقضي عدة أيام متنقلاً بين قصور بودة يتم استضافته في كل قصر على موائد متميزة. ويجمع من كل المناطق التي يزورها خيرات كثيرة متمثلة في التمور والزرع والقمح ورؤس الماشية بمختلف أنواعها والدراهم وغيرها.

وفي إقليم قورارة ظهرت أكبر زاوية وهي زاوية بادريان للشيخ أبو محمد بن محمد الجزولي ولد في أواخر القرن العاشر بأولاد سعيد ،حبس أملاكها في سنة1004 هـ/1596م للزاوية، وبعد ذلك جعلها بيد ابنه محمد عبد الله الصوفي، وتعددت أدوار هذه الزاوية من زاوية إطعام و تعليم وركب الحجيج في ناحية قورارة وبجنوب مدينة تيميمون توجد زاوية الحاج بلقاسم، أسسها الشيخ الحاج بلقاسم في أوائل القرن العاشر الهجري، امتازت عند تأسيسها بوظيفة ركب الحجيج. لقد تصدرت الزاوية الساحة العلمية في اقليم قورارة خلال القرن الـ 10هـ، حيث شكلت مركز إشعاع علمي وثقافي تخرج منه العديد من العلماء والفقهاء الذين أثروا الساحة العلمية في عموم الصحراء.

ولم تكن الزوايا التي عرفت بالمنطقة تتبع الطرق الصوفية المعروفة إلا القليل منها، بل نجد أن معظم الزوايا في المنطقة و التي أنشئت كزوايا لها استقلالية تامة عن أي طريقة، امتازت بدورها الديني و التعليمي والاجتماعي، وأصبحت مراكز إشعاع للحياة الدينية و العلمية. وأهمها زوايا العلم وظيفتها تحفيظ القرآن الكريم و تكون مجاورة للمسجد.

– الشيخ أبو زيد عبد الرحمن الجنتوري: المتوفى سنة 1160هـ/1747م ويعد من أوئل الطلبة الذين درسوا لدى الشيخ عمر بن عبد القادر في تنلان، وتميز بنبوغه في الفقه حتى أنه فاق شيخه عمر بن عبد القادر، وقد شهد بذلك بعض تلامذته على رأسهم المؤلف الذي استحسن طريقته في التدريس، وقال أنه استفاد من الجنتوري أضعاف ما استفاد من الشيخ عمر بن عبد القادر، وجاء في رحلة ضيف الله بن محمد بن أب على لسان أبيه، أن الجنتوري بلغ في مستواه العلمي مبلغًا فاق به شيخه عمر بن عبد القادر حتى أنه لو أدركه لقرأ على يديه (جعفري، 2009، صفحة 42) .

وقد تصدر الشيخ الجنتوري التدريس في تجوارين التي كانت أيضا مستقر الشيخ محمد بن أب المزمري، حيث كان يقضي معه أوقاتًا طويلة في إصلاح مقطعاته الشعرية ومراجعة النوازل التي كانت ترد له، ورغم شح المعلومات حول الحياة العلمية لهذا الشيخ عدا مانجده في فهرسة التواتي، إلا أننا نلمس أن الجنتوري لم يكن ينظر بعين الرضا للمستوى العلمي لطلبة المنطقة، حيث كان يشتكي قلة استيعابهم لغلبة العجمة عليهم، وكان يفضل عليهم طلبة توات لجودة قرائحهم وقرب لسانهم للعربية وقوة استيعابهم، وبلغ به الأمر إلى درجة

رغبته في الرحيل إلى المشرق لعله يجد من يأخذ عنه، وبرغم أن الجنتوري تلقى تكوينًا محليًا، لعدم التحاقه بأي من الحواضر العلمية خارج توات إلا أنه مثل ظاهرة فقهية فريدة في بلاد توات، حيث نستشف مما جاء عنه في فهرسة التواتي أنه كان انتبه إلى أزمة الجمود الذي كان يعاني منه الفقه المالكي بفعل اكتفاء علمائه بالنقول والاختصارات والاهتمام بالفروع وترك الأصول، حيث دعا إلى ضرورة العودة إلى الكتاب والسنة باعتبارهما أصل كل الأحكام، ورغم أن هذه الموقف جاء في سياق ديباجة إجازته لتلميذه المؤلف إلا أنه يفتح بابًا كبيرًا لمعرفة الكثير عن شخصية الجنتوري العلمية وآرائه الفقهية، هذا إن وجد تراثه ومؤلفاته عناية الباحثين وعلى رأسها نوازله التي هي إلى الآن مخطوطة لم تر النور.

– الشيخ محمد بن أب المزمري التواتي: المتوفى 1160هـ /1747م بتيميمون يعد من أهم رواد الحركة الأدبية في الإقليم ولد في قرية أولاد الحاج بأولف 1094 هـ/1683م ، وعرف بكثرة الإنتقال والتجوال بين الحواضر العلمية في توات حيث عاش مدة طويلة في الزاوية الرقادية، أخذ على علمائها أمثال محمد بن عبد المؤمن السباعي والشيخ محمد الصالح بن المقداد، ثم انتقل إلى تنلان وأخذ عن شيخها عمر بن عبد القادر التنلاني، ليستقر بعدها نهائيًا في تيميمون، حيث عاصر الشيخ عبد الرحمن الجنتوري الذي ذكر الرحالة ابن أب الابن أنه كان دائم التردد على منزل الشيخ مستغرقا معه الساعات الطوال في إصلاح القصائد والنظر فيما يرد للجنتوري من نوازل. وانصرف الشيخ بن أب لخدمة اللغة والأدب فكان لغويا عروضيا إحترف صناعة الشعر.

كما ألف الكثير من الشروح على المنظومات الأدبية العريقة والقصائد الشعرية التي تظهر مدى تقدمه في علم اللغة.

زوايا أخرى: لم يكن النشاط العلمي متركزا في الزوايا العلمية الكبرى في قورارة، فقد انتشرت في جل قرى الاقليم مدارس قرآ نية محلية أسسها طلبة تخرجوا من الزوايا الكبرى وقد ارتقت بعضها لتكون زوايا حازت شهرة كبيرة

## 4– مظاهر النشاط العلمي والفكري بقورارة:

إن الباحث في خزائن قورارة من المخطوطات يلمس ضخامة الإنتاج العلمي لعلمائها، غير أن هذا المنتوج طالته ايادي النهب والضياع، ومن المؤكد أن خزائن المخطوطات كانت تحوي أضعاف ماهو موجود فيها اليوم، وقد غلب على مؤلفات الطابع الفقهي واللغوي، وبعض الرحلات وبعض الفنون الأخرى نظرا لنوعية التكوين الذي تلقوه وسوف استعرض بعض المؤلفات:

وبما ان الفقه المالكي هو الغالب على علماء الاقليم فقد ظهرت العديد من المؤلفات الفقهية، أخذت النوازل الحيز الأكبر منها:

– نوازل الزجلوي*: ألفها محمد العالم الزجلوي، وهي مجموعة أجوبة على قضايا فقهية أجاب عليها الزجلوي أو جمعها من إجابات شيخه عبد الرحمن بن عمر التواتي أو شيخه عمر بن عبد القادر التواتي التنلاني، وتسلط الضوء على جملة من القضايا الاجتماعية والاقتصادية، ويمكن من خلالها أن نرصد واقع الحال في توات في المجالات المذكورة .

* – توجد منها العديد من النسخ المخطوطة نذكر منها نسخة محفوظة في خزانة مولاي على قريشي، أولاد إبراهيم أدرار وأخرى مخطوطة في خزانة آل بن عبد الكبير، المطارفة .

– الوجيز في شرح مختصر خليل: لنفس المؤلف وصنفه بإشارة من شيخه عبد الرحمن بن عمر وصل فيه إلى " ومدلس المرابحة كغيرها".

– كتاب الجامع لأجوبة أبي زيد التنلاني: وهي مجموع مراسلات علمية بين الشيخ عبد الرحمن بن عمر التواتي وابنه محمد، جمعها الشيخ محمد عبد الكريم بن عبد الملك البلبالي، وهي في مجملها نوازل تتكلم بشكل عام عن الحياة العامة داخل المجتمع التواتي وتحيل على أوضاعه المعيشية ونشاطاته الاقتصادية وتعاملاته، فمنها نوازل تتكلم عن الأوقاف وأخرى عن تقسيم مياه الفقارات، وقضايا الدين، والزواج والطلاق وغيرها* .

– غاية ألاماني في أجوبة أبي زيد التنلاني: جمعه نفس الشيخ وربما يكون اختصارا للكتاب الأول نظرا للتشابه الكبير في مادتهما* .

– تحلية القرطاس بالكلام عن مسألة الخماس: لمحمد بن أب المزمري، وهو جواب عن مسألة بعث بها الشيخ عمر بن المصطفى الرقادي لابن أب المزمري، في مسالة تخميس الأرض والضوابط التي تحكم العلاقة بين الخماس وصاحب الأرض، وتعد هذه الرسالة من قليل تراث ابن أب الفقهي* .

– الألفية في التفسير: محمد بن محمد العالم الزجلوي، ألفها بأمر من الشيخ أبي زيد عبد الرحمن التواتي.

– متن العبقري: لمحمد بن أب المزمري وهو نظم على المقدمة الأخضرية، وقد لقيت هذه الأرجوزة اهتماما كبيرًا في المدارس القرآنية في قورارة حيث يعمل شيوخها تحفيظها لصغار الطلبة.

وقد شرحها حفيد المؤلف السيد عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن عمر التواتي في مؤلف سماه المورد العنبري لمعاني العبقري* .

نظرا لارتباطها الوثيق بعلم الفقه وعلوم القرآن فقد حازت الدراسات اللغوية القسط الوافر من الاهتمام لدى علماء توات الذين ألفوا العديد من المصنفات في هذا المجال ومن أهم مؤلفاتهم:

– مختصر الدر المصون في إعراب القرآن الكريم: وهو كتاب في إعراب كلمات القران الكريم اختصره الشيخ أبو زيد عبد الرحمن التواتي من كتاب السمين* .

---

* – توجد نسخة منه في خزانة مولاي سليمان بن علي، أدغاغ، أدرار .

* – اطلعت على نسختين منه الأولى بخزانة الشيخ الحاج محمد باي بلعالم، الركينة، أولف . وهو مخطوط كامل، أما النسخة الثانية ففي بخزانة مولاي سليمان بن علي، أدغاغ ،أدرار، وهي نسخة مبتورة الآخر.

* – توجد نسخة بخط الشيخ عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن التواتي في خزانة مولاي علي قريشي، أولاد إبراهيم، أدرار

* – توجد نسخة في خزانة مولاي علي قريشي، أولاد إبراهيم ،أدرار.

* - تأتي الإشارة إليه في مؤلفات عبد الرحمن التواتي.في التعريف به وبآثاره.

- ألفية الغريب: محمد بن محمد العالم الزجلوي، وإبرز فيها غريب ألفاظ القرآن الكريم.

- منظومة في التوحيد مطلعها: استفتح باسم الله والنبي الاواه لا اله الا الله القديم الازلي.

- منظومة من معجزات النبي صلى الله عليه وسلم تبدأ بي بسم الله نبدا ذا المقام ربي توصف الكلام.

- منظومة في الاسراء والمعراج مطلعهابسم مولانا المجيد ،نبتدي بما نريد ثم نثني ونعيد بالصلاة على محمد.

- كتاب في الحج.

- ميمية في التوسل ومطلها اللهم صلي وسلم على نبينا خير الانام.

- منظومة في مناسك الحج ومطلعها صلي وسلم يا هو عزم، علي ابن هاشم قريشي بن محمد .

- منظومة في مدح النبي صلى الله عليه وسلم على حسب حروف الهجاء تبدأ بي :الف ابتدائي ،بحروف الهجاء ،قصدي مع الرجاء بالصلاة على محمد.

- منظومة بعنوان نظم للبيب ومطلعها: بالله حولي وقو حالي ،عليك اتكالي يارب الممجد.

- منظومة في معجزات الرسول صلى الله عليه وسلم ومطلعها: صلي الله على من سماه ،المولى البشير النذير.

- قصيدة مطلعها الحمد لله الذي الهمنا الى دعائه امرنا ثم الصلاة على نبينا محمد هو الذي بلغنا.

## 5- الخاتمة:

من خلال دراستا هذه يظهر بجلاء أن إقليم قورارة عاش خلال قرون مضت نهضة ثقافية وعلمية كبيرة جعلت منها إحدى أهم المراكز العلمية النشطة في منطقة الصحراء الإفريقية مكملة للادوار التي كانت تقوم بها الحواضر العلمية العريقة في الشمال كبجاية وتلمسان و فاس ومكناس وغيرهامن الحواضر العلمية ، حيث ازدهرت الحياة العلمية في مختلف أرجائها وحازت زواياها شهرة كبيرة. ترجمها هذا العدد الهائل من الشيوخ والعلماء الذين أثروا الساحة العلمية للمنطقة بمؤلفات وتصانيف ومخطوطات في شتى العلوم والتي هي حبيسة خزائن القائمين عليها ،مما عرضها إلى التلف بفعل عوامل الطبيعية وقلة الاهتمام.

## 6- قائمة المراجع:

- ابن خلدون عبد الرحمن بن محمد. (2001). *العبر وديوان المبتدأ والخبر في أخبار العرب والعجم والبربر* (المجلد الجزء 01). (تحقيق:خليل شحادة، مراجعة سهيل زكار) بيروت: دار الفكر.

- أحمد جعفري. (2009). الجزائر: منشورات الحضارة.
- الحسن، بن محمد الوزان. (1983). *وصف إفريقيا* (ط 2). بيروت: دار الغرب الإسلامي.
- العياشي أبو سالم. (بلا تاريخ). *الرحلة العياشية، ماء الموائد* (الجزء 1 ). فاس: طبعة حجرية.
- بابا حيدة. (1977). *القول البسيط في أخبار تمنطيط*. (تحقيق فرج مسعود) ديوان المطبوعات الجزائرية.
- محمد، حوتية. (2004). توات والأزواد خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر ميلادي. *رسالة دكتوراه في التاريخ الحديث*. جامعة الجزائر، معهد التاريخ.
- موسى لقبال. (1984). *المغرب الإسلامي منذ بناء معسكر القرن*. الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب.
-

- Gourara, J. B. (1957). *Etude de Géographie Humaine* (Vol. N°03). Institut de Recherche Saharienne.
- M-mameri, P. A. (1956). *Et autres. Le Gourara. T14.* Elements d'etude anthropologique IRS.
- Pietro-Laureaux. (septembre1987). *Les k'sours du sahara algerien.* Ecomos/info.
-